الوفاء في القرآن الكريم "دراسة موضوعية تفسيرية"

الدكتور/ أيمن نبيه غنام المغربي

أستاذ التفسير المساعد في قسم الشريعة والدراسات الإسلامية الكلية الجامعية بالقنفدة جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : anmaghrabe@upu.edu.sa

الملخص :

المتأمل في آيات القرآن يجد الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة عموما وخلق الوفاء خصوصا بأنواعه الثلاثة: الوفاء بالوعد، والوفاء بالعهد، والوفاء بالعقد، وأنه من خلق الأنبياء، ويرى عظيم ما أعده الله تعالى للمتصفين والمتخلقين بهذا الخلق النبيل.

فخلق الوفاء من أخلاق الإسلام الراقية، وصفة من صفات النفوس الأبيّة، خلق إذا انتشر بين الناس ملأ حياتهم صفاء ونقاء، وظللهم بروح المودة والإخاء والمحبة والألفة، ومن شأن كل من يتحلى به أن يحظى برضا خالقه، وثقة كل المتعاملين معه، فتستقيم حياته، ويؤدي رسالته، ويحقق طموحاته على النحو الذي يرضيه، لذلك كان «الوفاء» مطلباً قرآنياً؛ حيث جاء القرآن الكريم يطالب به، ويحمل كثيراً من معانيه ومجالاته، كما أنه خلق نبوي كريم تحلى به الرسول العظيم ليكمل معالم شخصيته الفريدة؛ حيث وصفه خالقه بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة خلق الوفاء في القرآن الكريم دراسة موضوعية تفسيرية من خلال تتبع آيات الوفاء بجميع أنواعه. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: تزخر آيات القرآن الكريم بالدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق وأنها شيم الأنبياء. وأن خلق الوفاء من أعظم أخلاق الإسلام التي تجلب المحبة والمودة والتعاون بين المجتمع المسلم. وأن من أغلظ أنواع الوفاء التي ينبغي الوفاء بها ما يكون بين العبد وربه. بيان عظيم ما أعده الله تعالى لأهل الوفاء وقبح الغدر والخيانة. مجتمع بدون وفاء مجتمع تغيب عن سمائه المحبة والألفة وتحل فيه الأنانية وحب الذات والأنفة والكراهية ...

الكلمات المفتاحية : الوفاء بالعهد، الوفاء بالعقد ، الوفاء بالوعد.

Loyalty in the Holy Quran: An Objective Interpretive Study

Dr. Ayman Nabeeh Ghanem Al-Maghribi
Assistant Professor of Interpretation in the Department of Sharia and Islamic Studies, University College in Qunfudah, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: anmaghrabe@upu.edu.sa

Abstract:
Those who reflect upon the verses of the Quran will find a call to adhere to virtuous morals in general and to the virtue of loyalty in particular, in its three forms: fulfilling promises, keeping a covenant, and fulfilling a contract. Loyalty is a characteristic of the prophets He sees the greatness of what God Almighty has prepared for those who are characterized and adorned with this noble characteristic. Loyalty is one of the noble morals of Islam and a characteristic of noble souls. When it spreads among people, it fills their lives with purity and clarity, and surrounds them with a spirit of affection, brotherhood, love, and harmony. Anyone who adorns it will gain the pleasure of their Creator and the trust of all those who interact with them. Their lives will be upright and they will fulfill their mission And he achieves his ambitions in a manner that satisfies him. Therefore, "loyalty" is a Quranic requirement.
The Holy Quran calls for it and carries many of its meanings and scope. It is also a noble prophetic characteristic that the great Messenger was adorned with to complement the features of his unique personality. His Creator described him by saying: {And indeed, you are of a great moral character.} This research aims to study the characteristic of loyalty in the Holy Quran through an objective, interpretive study While tracing the verses of loyalty in all its forms. Among the most important results I reached: The verses of the Holy Quran abound with calls to adhere to noble morals and that they are the characteristics of the prophets. And that the characteristic of loyalty is one of the greatest morals in Islam that brings love, affection and cooperation among the Muslim community. And that one of the most severe types of loyalty that should be fulfilled is that which is between the servant and his Lord. A great statement of what Allah Almighty has prepared for the people of loyalty and the ugliness of treachery And betrayal. A society without loyalty is a society in which love and harmony are absent, and selfishness, self-love, arrogance, and hatred reign supreme...

Keywords: loyalty to a covenant, keeping a contract, keeping a promise.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي لولاه لما خط القلم، ولا استطاع اللسان أن يتكلم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان أفصح الخلق أجمعين.

أما بعد،،،

فإن الدين الإسلامي يدعو إلى مكارم الأخلاق، بهذا نطق المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»(١).

وإن من مكارم الأخلاق التي حثنا عليها ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام خلق الوفاء.

فالوفاء من شيم الأنبياء، كما روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس، في الحديث الطويل لما حدثت مناظرة بين هرقل وأبي سفيان في أمر النبي عليه الصلاة والسلام، (فقال هرقل لـ أبي سفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال له: لا. قال: فهل يغدر؟ قال له: لا. قال: فبم يأمركم؟ قال: يأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة)(٢).

والوفاء: يختصّ بالإنسان، فمن فقد فيه (الوفاء) فقد انسلخ من الإنسانيّة، وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان وصيّره قواما لأمور النّاس، فالنّاس مضطرّون إلى التّعاون، ولا يتمّ تعاونهم إلّا بمراعاة العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التّعايش. ولذلك عظّم الله تعالى أمره فقال: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}(٣)، وقيل في قوله- عزّ وجلّ-: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}(٤)، أي نزّه نفسك عن الغدر، وقد عظّم حال السّموأل فيما التزم به من الوفاء بدروع امرىء القيس، ممّا يدلّ على أنّ الوفاء قيمة عظيمة قدّرها عرب الجاهليّة. وقد أقرّهم الإسلام على ذلك،

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٧٣) الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩

(٢) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، رقم (٢٦٨١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

(٣) سورة البقرة: ٤٠

(٤) سورة المدثر: ٤

ولا يستطيع ذلك إلّا القليلون، ولقلّة وجود ذلك في النّاس قال تعالى: {وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ}[1]، وقد ضرب به المثل في العزّة فقالت العرب: «هو أعزّ من الوفاء»[2].

والناظر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابته الكرام وتابعيهم بإحسان يجد أن الوفاء بالعهد من شيمهم ومزاياهم، ولذلك خضع الناس لهم واتبعوا دعوتهم، فقد كانوا أسوة حسنة لمن هو دونهم في مكارم الأخلاق.

والمتأمل في آيات القرآن يجد الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة عموما وخلق الوفاء خصوصا بأنواعه الثلاثة: الوفاء بالوعد، والوفاء بالعهد، والوفاء بالعقد، وأنه من خلق الأنبياء، ويرى عظيم ما أعده الله تعالى للمتصفين والمتخلقين بهذا الخلق النبيل.

وسنحاول بعون الله تعالى أن نعيش في رحاب آيات الوفاء بجميع أنواعه، عسى أن نقتدي بسيد الأوفياء سيدنا، محمد فينعم المجتمع بهذا الخلق الرفيع ويعيشوا في ظلاله ويقترفوا ثماره.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وتنبع أهمية هذا الموضوع إلى:

١-أنه يتعلق بخلق من أعظم أخلاق الإسلام.

٢-محاولة لتبصرة المجتمع بهذا الخلق الذي إن غاب عن المجتمع حل في المجتمع ما لا يحمد عقباه من قبح الغدر والخيانة.

٣- ما حل في المجتمع من ضياع خلق الوفاء وضياع كثير من الأخلاق.

أهداف الدراسة:

١-الدعوة إلى تأمل آيات الذكر الحكيم وخصوصا آيات الأخلاق.

٢-إلقاء الضوء على أنواع الوفاء التي جاءت في القرآن الكريم.

خطة البحث:

أولا: المقدمة وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانيا: التمهيد، ويشتمل على:

المطلب الأول: تعريف الوفاء لغة واصطلاحا:

المطلب الثاني: أنواع الوفاء:

١- الوفاء بالعهد:

---

(١) سورة الأعراف:١٠٣

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٢٠٩، الذريعة إلى مكارم الشريعة، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٢- الوفاء بالعقد

الفرق بين العقد والعهد:

٣- الوفاء بالوعد:

الفرق بين الوعد والعهد:

المبحث الأول: الوفاء بالعهد:

المبحث الثاني: الوفاء بالعقد:

المبحث الثالث: الوفاء بالوعد:

الخاتمة والتوصيات:

مصادر البحث:

فهرس الموضوعات:

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

التمهيد

المطلب الأول: تعريف الوفاء لغة واصطلاحا:

الوفاء في اللغة: تدور كلمة الوفاء في المعاجم العربية حول التمام والإكمال والحفظ والتوفية، والوفاء ضد الغدر، فكلمة الوفاء مصدر الفعل (وفى) قولهم: وفَى يَفِي وَفَاء، وهو مأخوذ من مادة، يقول ابن فارس: (وفى) الواو والفاء والحرف المعتل: كلمة تدل على إكمال وإتمام. منه الوفاء: إتمام العهد وإكمال الشرط. ووفى: أوفى، فهو وفي. ويقولون: أوفيتك الشيء، إذا قضيته إياه وافيا. وتوفيت الشيء واستوفيته؛ [إذا أخذته كله] حتى لم تترك منه شيئا [(١)].

وقال الجوهري: الوفاء ضد الغدر، يقال: وفى بعهده وأوفى بمَعنًى، وَوَفَى الشيءُ وُفِيّاً على وزن فعول أي تم وكثر، والوفِيُّ: الوافي، وَوَفَى على الشيء: أشرف، وَأَوْفَاهُ حقَّه وَوَفَّاهُ بِمَعْنًى، واستوفى حقه وتوفَّاه بمعنًى، وتوفَّاه الله: قبض روحه، والوفاة: الموت، وَوَافى فلانٌ: أَتَى، وتوافى القومُ: تَتَامُّوا[(٢)].

وقال الراغب: الوَافِي: الذي بلغ التَّمامَ من كل شيء، يقال: درهمٌ وافٍ وَكَيْلٌ واف وأَوْفَيْتُ الكيلَ والوزنَ، وأوفيت الكيل والوزن، قال تعالى {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ}[(٣)].

وَوَفَى بعهده وَأَوْفَى إذا تمَّمَ العهدَ ولم يَنْقُضْ حِفْظَه، واشتقاق ضده وهو الغدر يدل على ذلك وهو ترك (الحفظ) والقرآن جاء بأوفى. قال تعالى: {وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم}[(٤)]، وَتَوفِيَةُ الشيءِ بذله وافياً، واستيفاؤه: تناوله وافياً، وقد عبر عن النوم والموت بالتَّوفِّي[(٥)].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٢٩) مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٢٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٣) سورة الإسراء آية (٣٥).

(٤) سورة البقرة آية (٤٠).

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٨٧٨، المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

وفي لسان العرب: وَالوَفَاءُ في اللغة: الخلق الشريف العالي الرفيع من قولهم: وَفَى الشعر فهو وافٍ إذا زاد، وَوَفَيْتُ له بالعهد أَفِي، وَوَافَيْتُ أُوَافِي. ومنه الوَفَاءُ بالعهد: وسمي بذلك لما فيه من بلوغ تمام الكمال في تنفيذ ما عاهد الله عليه، وفي ما عاهد عليه العباد(١).

فالوفاء في اللغة يدور معناه حول: الكمال والتمام وحفظ العهد وتوفية الشيء حقه، ويدخل فيه أيضاً معنى الإخلاص والبذل والعطاء.

وقال الراغب: الوفاء أخو الصدق والعدل، والغدر أخو الكذب والجور، وذلك أن الوفاء صدق اللسان والفعل معاً، والغدر كذب بهما؛ لأن فيه مع الكذب نقض العهد، والوفاء يختص بالإنسان، فمن فُقد فيه فقد انسلخ من الإنسانية كالصدق، وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان وصيره قواماً لأمور الناس، فالناس مضطرون إلى التعاون ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهد والوفاء.

الوفاء اصطلاحا:

قال الجرجانيّ: الوفاء: هو ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء(٢).

وقال الرّاغب: الوفاء بالعهد: إتمامه وعدم نقض حفظه(٣) .

وقال أيضا: الوفاء صدق اللّسان والفعل معا(٤).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) لسان العرب (٣٩٩/١٥)، لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

(٢) التعريفات ص٢٥٣، التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٨٧٨

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٢٠٩

المطلب الثاني: أنواع الوفاء[1]:

يتنوع الوفاء باعتبار المُوفَى به إلى ثلاثة أنواع، وهي كما يلي:

(١) الوفاء بالعهد[2]:

هو . كما ذكر الراغب . إتمامه وعدم نقض حفظه، ويتطابق من ثم مع صدق القول والعمل جميعا[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «العهود ما أحل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله»[4]، وأغلب ما يطلق على ما يعهد الله به للناس، أو ما يقطعه الناس لله على أنفسهم، أو فيما بينهم وبين بعضهم.

(٢) الوفاء بالعقد[5]:

---

(١) مستفاد من موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣٦٤٠/٨) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة.

(٢) العَهْدُ كل ما عُوهِدَ اللَّهُ عليه وكلُّ ما بين العبادِ من المواثِيقِ فهو عَهْد، والعَهْدُ الوصية، والعهد الذي يُكتب للولاة وهو مشتق منه والجمع عُهود، والعَهْدُ المَوْثِقُ واليمين يحلف بها الرجل، والعهد أيضاً الوفاء وفي التنزيل **(وما وجدنا لأَكثرِهم من عَهْدٍ)**[الأعراف:١٠٢] أَي من وفاء، والعَهْد الأَمانُ وكذلك الذمة تقول أَنا أُعْهِدُك من هذا الأَمر أَي أُؤْمِّنُك منه، والعَهْدُ الحِفاظُ ورعايةُ الحُرْمَة، قال أبو الهيثم: العهد جمع العهدة وهو الميثاق واليمين التي تستوثق لها ممن يعاهدك، وإنما سمي اليهود والنصارى أهل العهد للذمة التي أُعطوها، والعهدة المشتَرطة عليهم ولهم. لسان العرب (٣١١/٣).

(٣) المفردات ص٨٧٨، الذريعة إلى مكارم الأخلاق صـ٢٠٩.

(٤) التفسير الوسيط للواحدي (١٤٧/٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م.

(٥) الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَشِدَّةٍ وُثُوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُ الْبَابِ كُلُّهَا. مِنْ ذَلِكَ عَقْدُ الْبِنَاءِ، وَالْعَقْدُ: عَقْدُ الْيَمِينِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ – تَعَالَى: **(وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ)** [المائدة: ٨٩]، وَعَقَدتُ الحبل والبيع والعهد فانعقد، والعَقْد: العهد، والجمع عُقود وهي أوكد العُهود، ويقال عَهِدْتُ إلى فلانٍ في كذا وكذا وتأْويله أَلزمته ذلك، فإذا قلت عاقدته أَو عقدت عليه فتأْويله أَنك أَلزمته ذلك باستيثاق، والمعاقدة المعاهدة، وعاقده عهده، وتعاقد القوم تعاهدوا. مقاييس اللغة (٨٦/٤)، لسان العرب (٢٩٦/٣)

أما الوفاء بالعقد: فالمراد به إما العهد، وبذلك يتطابق مع النوع الأول، وقيل: هي عهود الإيمان والقرآن، وقيل: «هي ما يتعاقده الناس فيما بينهم»[١].

الفرق بين العقد والعهد:

قال الألوسي: وفرق الطبرسي بين العقد والعهد، بأن العقد فيه معنى الاستيثاق والشدة ولا يكون إلا بين اثنين، والعهد قد يتفرد به واحد[٢].

وفرَّق العسكري بين العقد والعهد فقال إن العقد أبلغ من الْعَهْد تَقول عهِدت إِلَى فلان بِكَذَا أَي ألزمته إِيَّاه وعقدت عَلَيْهِ وعاقدته ألزمته باستيثاق، وتقول عَاهَدَ العَبْد ربه وَلَا تَقول عَاقد العَبْد ربه إِذْ لا يجوز أَن يُقَال استوثق من ربه[٣].

(٣) الوفاء بالوعد[٤]:

والوعد يستعمل في ما ارتبط بزمن محدد مما ألزم به نفسه أو ألزمه به غيره ووافق عليه فهو قضاء شيء في زمن متفق عليه، وقد ذكرنا من قبل قول الجاحظ: كلما أضر به الدخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء[٥]، وأظهر للصدق وأجزل للثواب.

---

(١) تفسير البغوي (٦/٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

(٢) روح المعاني للألوسي (٣/ ٢٢٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٣) الفروق اللغوية للعسكري (٥٧/١) الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(٤) الوَعْدُ يُستعمل في الخير والشر يُقال وَعَد يَعِدُ بالكسر وَعْدًا، قال الفرَّاء: يُقال وَعَدْتُهُ خيرا ووعدته شرا، فإذا أَسْقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوَعْدُ والعِدَةُ وفي الشر الإيعَادُ والوَعِيد، والوعد من المصادر التي جاءت على مفعول ومفعوله كالمحلوف. [المصباح المنير ٦٦٤/٢، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، لسان العرب ٤٦١/٣.

(٥) نضرة النعيم (٣٦٤٠/٨) ، نقلا من كتاب تهذيب الأخلاق صـ ٢٤.

الفرق بين الوعد والعهد:

فرَّق العسكري بين الْوَعْد والعهد فقال: إن الْعَهْد مَا كَانَ من الْوَعْد مَقْرُونا بِشَرْط نَحْو قَوْلك إِن فعلت كَذَا فعلت كَذَا وَمَا دمت على ذَلِك فَأَنا عَلَيْهِ قَالَ الله تَعَالَى {وَلَقَد عهدنا إِلَىٰ آدم}[1] أَي أعلمناه أَنَّك لَا تخرج من الْجنَّة مَا لم تَأْكُل من هَذِه الشَّجَرَة والعهد يَقْتَضِي الْوَفَاء الْوَعْد[2].

* * * * * *

(١) طه:١١٥

(٢) الفروق اللغوية للعسكري (٥٧/١)

المبحث الأول
الوفاء بالعهد

علم مما تقدم أن الوفاء على ثلاثة أنواع، وسنشرع بعون الله في بيان كل نوع من الأنواع الثلاثة في القرآن الكريم.

وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تحث على التخلق بخلق الوفاء بالعهد، وتحذر من نقضه، منها:

أولا: الوفاء بالعهد على سبيل الأمر:

١- قال تعالى: {يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي} أوفوا بما أمرتكم به من طاعتي ونهيتكم عن معصيتي في النبي وغيره {أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} أرض عنكم وأدخلكم الجنة(٢).

٢- قال تعالى: {وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(٣).

قال ابن جرير في قوله تعالى { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ} أي لا تبخسوا الناس الكيل إذا كلتموهم والوزن إذا وزنتموهم، ولكن أوفوهم حقوقهم، وإيفاء ذلك إعطاؤهم حقوقهم تامة (بالقسط) يعني بالعدل....، وقوله تعالى: {وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} أي: وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا، وإيفاء ذلك:

---

(١) سورة البقرة آية (٤٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٨٦/١).

(٣) سورة الأنعام آية (١٥٢).

أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك الوفاء بعهد الله[١].

وقال صاحب روح المعاني في قوله تعالى: { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ}: أي كيل الشرع بمراعاة الحقوق الظاهرة، والميزان أي ميزان الحقيقة بمراعاة الحقوق الباطنة بالقسط بالعدل... {وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} هو التوحيد[٢].

٣- قال تعالى: {وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}[٣].

قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى:{ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ }: أي الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه.

وقوله {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ} أي من غير تطفيف ولا تبخسوا الناس أشياءهم {وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ} قرئ بضم القاف وكسرها[٤] كالقرطاس وهو الميزان، وقال مجاهد: هو العدل بالرومية، وقوله {الْمُسْتَقِيمِ} أي الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب ذلِكَ خَيْرٌ أي لكم في معاشكم ومعادكم ولهذا قال {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} أي مآلاً ومنقلباً في آخرتكم، قال سعيد: عن قتادة ذلِكَ {خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} أي خير ثواباً وأحسن عاقبة، وابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم: هذا المكيال، وهذا الميزان، قال: وذكر لنا أن نبي

(١) تفسير الطبري (٢٢٤/١٢) جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) روح المعاني للألوسي (٧٣/٨).

(٣) سورة الإسراء آية (٣٤، ٣٥).

(٤) قرأ بكسر القاف: حفص وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بضمها. انظر الميسر في القراءات الأربع عشرة، لمحمد فهد خاروف صـ٢٨٥، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦.

الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا يَقْدِرُ رَجُلٌ على حَرَام ثُمَّ يَدَعُهُ، لَيْسَ بِهِ إلا مَخافَةُ الله، إلا أَبْدَلَهُ الله فِي عاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ ما هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذلك»[١] أ.هـ

* * * * * *

ثانيا: التحذير من عدم الوفاء:

١- قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [٢].

قال ابن جرير: أنزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم، كان من أسلم بايع على الإسلام فقالوا: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ}هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام {وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا}البيعة فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام، وإن كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة. وقال آخرون: أنزلت في الحلف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية فأمرهم الله . عز وجل . في الإسلام أن يوافوا به ولا ينقضوه[٣].

وقال ابن كثير: هذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكدة[٤].

وقال صاحب التحرير والتنوير: قال قتادة: ليس من خُلُقٍ حسنٍ كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به في هذه الآية، وليس من خُلُقٍ كانوا يتعايرونه إلا نهى الله عنه وقدح فيه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٤٦/١٧) عن قتادة مرسلا، وانظر تفسير ابن كثير (٧٤/٥) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) سورة النحل آية (٩١).

(٣) تفسير الطبري (٢٨٢/٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٩٨/٤).

وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق[١] ومذامها[٢].

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}[٣].

قال الإمام الطبري: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ} بالحديبية من أصحابك على أن لا يفروا عند لقاء العدو ولا يولوهم الأدبار {إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}يقول: إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله ؛ لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك.

وفي قوله { يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} وجهان من التأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة؛ لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم، والآخر: قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرته على العدو.

وقوله {فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ}يقول تعالى ذكره: فمن نكث بيعته إياك يا محمد ونقضها فلم ينصرك على أعدائك وخالف ما وعد ربه {فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ} يقول: فإنما ينقض بيعته لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة، فلم يضر بنكثه غير نفسه، ولم ينكث إلا عليها، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه، نكث الناكث منهم أو وفى بيعته.

وقوله {وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ}الآية يقول تعالى ذكره: ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدو في سبيل الله ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه {فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأمور ويبغض . أو قال يكره . سفسافها» أخرجه الحاكم في المستدرك (١١٢/١) المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

(٢) التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور (٧/ ٢٥٩)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٣) سورة الفتح آية (١٠).

عَظِيماً} يقول: فسيعطيه الله ثواباً عظيماً، وذلك أن يدخله الجنة جزاء له على وفائه بما عاهد عليه الله ووثق برسوله على الصبر معه عند البأس بالمؤكدة من الإيمان(١).

ثالثا: الوفاء بالعهد من سمات الإيمان:

١- قال تعالى: { أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ} (٢).

قال الإمام ابن جرير: عن قتادة قال: { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} فبين من هم فقال: {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ} فعليكم بوفاء العهد ولا تنقضوا هذا الميثاق فإن الله تعالى قد نهى وقدم فيه أشد التقدمة فذكره في بضع وعشرين موضعاً نصيحة لكم وتقدمة إليكم وحجة عليكم، وإنما يعظم الأمر بما عظمه الله به عند أهل الفهم والعقل فعظَّموا ما عظَّم الله. قال قتادة: وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: «لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ»(٣).

وقال الإمام ابن كثير: وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وُصِفَ هؤلاء الفاسقين بنقضه، فقال بعضهم: هو وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ونقضهم ذلك تركهم العمل به، وقال آخرون: إنما نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، فعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتباع محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم، ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وإنكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك الناس بعد إعطائهم الله من

(١) تفسير الطبري (٣٣٨/١١).

(٢) سورة الرعد آية (١٩،٢٠).

(٣) تفسير ابن جرير (٤١٩/١٦)، والحديث أخرجه أحمد (٣٧٦/١٩)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه، فأخبر الله جل ثناؤه أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلاً، وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله وهو قول مقاتل بن حيان.

وقال بعضهم: إن الله عنى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق وعهده إلى جميعهم في توحيده: ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته، وعهده إليهم في أمره ونهيه: ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها الشاهدة لهم على صدقهم، قالوا: ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق، وروي عن مقاتل بن حيان أيضاً نحو هذا، وهو حسن وإليه مال الزمخشري فإنه قال: فإن قلت فما المراد بعهد الله.

قلت: ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد، كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله: {**وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى**} [الأعراف: ١٧٢] إذ أخذ الميثاق عليهم في الكتب المنزلة عليهم لقوله: {**وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم**} [البقرة: ٤٠].

وقال آخرون: العهد الذي ذكره تعالى هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله تعالى:{**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا**} ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به، وهكذا روي عن مقاتل ابن حيان أيضاً، حكى هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره(١).

وقال للشوكاني في تفسيره لهذه الآية: أي بما عقدوه من العهود فيما بينهم وبين ربهم، أو فيما بينهم وبين العباد ولا ينقضون الميثاق الذي وثقوه على أنفسهم، وأكدوه بالأيمان ونحوها، وهذا تعميم بعد التخصيص، لأنه يدخل تحت الميثاق كل ما أوجبه العبد على نفسه كالنذور ونحوها، ويحتمل أن يكون الأمر بالعكس فيكون من التخصيص بعد التعميم على أن يراد بالعهد جميع عهود الله، وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده، ويدخل في ذلك الالتزامات التي يلزم بها العبد نفسه، ويراد بالميثاق ما أخذه الله على عباده حين أخرجهم من صلب آدم في عالم الذر المذكور في قوله سبحانه: {**وإذ أخذ ربك من بني آدم**}[الأعراف:١٧٢]" (٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٢١٠/١، ٢١١)، وانظر تفسير ابن جرير (٤١٠/١).

(٢) فتح القدير (٩٤/٣)، فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ

٢- قال تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} (١).

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} بالله ورسوله {رِجالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس { فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ} يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره لله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعضٌ يوم بدر، وبعضٌ يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن { وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ} قضاءه والفراغ منه كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوه، والنحب: النذر في كلام العرب وللنحب أيضاً في كلامهم وجوه غير ذلك منها الموت(٢).

وقال الآلوسي في تفسيره لهذه الآية: أي رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقاتلة للأعداء، وقيل: من الطاعات مطلقا(٣).

وقد اختلف المفسرون فيمن نزلت على قولين(٤):

الأول: قال بعضهم: نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه، قاله أنس بن مالك رضي الله عنه؛ وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال: غَابَ عَمِّى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْر، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّه، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِين، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِى قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَع، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ «اللَّهُمَّ إِنِّى أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِى أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ» - يَعْنِى الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّم، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذ، فَقَالَ يَا سَعْدَ بْنَ مُعَاذ، الْجَنَّة، وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّى أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سَعْدٌ فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسٌ فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْم، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُون، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلاَّ أُخْتُهُ

(١) سورة الأحزاب آية (٢٣).

(٢) تفسير ابن جرير (٢٣٧/٢٠).

(٣) تفسير روح المعاني (١٧٠/١٢).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٣٦٩/٦) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت،الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

بِبَنَانِهِ. قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِى أَشْبَاهِهِ {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} »[1].

والثاني: أنها نزلت في طلحة بن عبيد الله، أخرج الترمذي عن طلحة بن عبيد الله قال: إِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالُوا لأَعْرَابِيٍّ جَاهِلٍ سَلْهُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ مَنْ هُوَ وَكَانُوا لا يَجْتَرِئُونَ عَلَى مَسْأَلَتِهِ يُوَقِّرُونَهُ وَيَهَابُونَه، فَسَأَلَهُ الأعْرَابِي، فَأَعْرَضَ عَنْه، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْه، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْه، ثُمَّ إِنِّي اطَّلَعْتُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ وَعَلَيَّ ثِيَابٌ خُضْرٌ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ؟» قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ»[2].

وقوله: {وما بدلوا تبديلا} أي: وما غيروا عهدهم، وبدلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا: {إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا} ، {ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار}[3].

٣- قال تعالى: {بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَاتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [4].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: أي لكن من أوفى بعهده واتقى منكم يا أهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بُعث، كما أخذ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)[الأحزاب:٢٣]ح (٢٨٠٥)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ح (١٩٠٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير، باب تفسير سورة الأحزاب ح (٣٢٠٣)، وأبو يعلى ح (٦٦٣)، وقال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يونس بن بكير، سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

(٣) سورة الأحزاب الآيات (١٣، ١٤، ١٥)، وانظر تفسير ابن كثير (٣٩٥/٦).

(٤) سورة آل عمران (٧٦).

العهد والميثاق على الأنبياء وأممهم بذلك، واتقى محارم الله واتبع طاعته وشريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيدهم {فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [1].

وغيرها من آيات الوفاء بالعهد مما يطول المقام في سرده وبيانه.

(١) تفسير ابن كثير (٦٢/٢).

المبحث الثاني
الوفاء بالعقد

المتأمل في القرآن الكريم يجد أنه يطلق العقد غالباً على ما بين الناس بعضهم بعضا، والذي يؤكِد بتوثيق من إشهاد أو كتابة فيزداد ثبوتاً واستحقاقاً للوفاء.

قال تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلاَّ مَا يُتْلى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} (١).

قال ابن جرير: يعني جل ثناؤه بقوله: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا} يا أيها الذين أقروا بوحدانية الله وأذعنوا له بالعبودية وسلموا له الألوهية وصدَّقوا رسوله محمداً ﷺ في نبوته وفيما جاءهم به من عند ربهم من شرائع دينه {أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}: أوفوا بالعقود التي عهدتموها ربكم، والعقود التي عاقدتموها إياه وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقاً وألزمتم أنفسكم بها لله فروضاً فأتموها بالوفاء والكمال والتمام منكم لله بما ألزمكم بها، ولمن عاقدتموه منكم بما أوجبتموه له بها على أنفسكم، ولا تنكروها فتنقضوها بعد توكيدها(٢).

فناداهم بالعقيدة التي تستلزم الوفاء بالعهود والعقود فإن الوفاء جنا الإيمان.

وقال الإمام الألوسي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: الوفاء حفظ ما يقتضيه العقد والقيام بموجبه، ويقال: وفى ووفى وأوفى بمعنى، لكن في المزيد مبالغة ليست في المجرد...، واختلفوا في المراد بهذه العقود على أقوال:

أحدها: أن المراد بها العهود التي أخذ الله تعالى على عباده بالإيمان به وطاعته فيما أحل لهم أو حرم عليهم، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

وثانيها: العقود التي يتعاقد الناس بينهم كعقد الإيمان وعقد النكاح وعقد البيع ونحو ذلك، وإليه ذهب ابن زيد وزيد بن أسلم.

وثالثها: العقود التي كانت تؤخذ في الجاهلية على النصرة والمؤازرة على من ظلم، وروي ذلك عن مجاهد والربيع وقتادة وغيرهم.

---

(١) سورة المائدة آية (١).

(٢) تفسير ابن جرير (٩/٤٤٧).

ورابعها: العهود التي أخذها الله تعالى على أهل الكتاب بالعمل بما في التوراة والإنجيل مما يقتضي التصديق بالنبي ﷺ وبما جاء به، وروي ذلك عن ابن جريج وأبي صالح.

وعليه فالمراد من الذين آمنوا مؤمنو أهل الكتاب وهو خلاف الظاهر، واختار بعض المفسرين أن المراد بها[١] ما يعم جميع ما ألزمه الله تعالى عباده، وعقد عليهم من التكاليف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوهما مما يجب الوفاء به، أو يحسن ديناً، ويحمل الأمر على مطلق الطلب ندباً أو وجوباً، ويدخل في ذلك اجتناب المحرمات والمكروهات؛ لأنه أوفق بعموم اللفظ إذ هو جمع محلى بالألف واللام وأوفى بعموم الفائدة[٢].

وقال السعدي في تفسيره: هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها. وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئا، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم.

والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات:١٠] بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع[٣].

---

(١) أي العهود.

(٢) روح المعاني (٤٨/٦).

(٣) تفسير السعدي ص(٢١٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م

المبحث الثالث
الوفاء بالوعد

حض القرآن الكريم على التحلي بخلق الوفاء بالوعد، وأنه من خلق الأنبياء وشيم الصالحين، ومن ذلك قوله تعالى:

(١) {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا}[١].

قال ابن كثير رحمه الله: هذا ثناء من الله على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد، قال ابن جريج: لم يعد ربه عدة إلا أنجزها، يعني ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفاها حقها، وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل النبي ﷺ وعد رجلا مكانا أن يأتيه فيه فجاء ونسي الرجل، فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال: ما برحت من ههنا؟ قال: لا، قال: إني نسيت، قال: لم أكن أبرح حتى تأتيني فلذلك {كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ}"[٢].

وقال الإمام القرطبي . رحمه الله . في تفسيره لقوله: {إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ}لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به[٣].

(٢) وقال تعالى:{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا}[٤].

قال ابن كثير رحمه الله: الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم، هي {جنات عدن} أي: إقامة {التي وعد الرحمن عباده} بظهر الغيب، أي: هي من الغيب الذي يؤمنون به وما رأوه؛ وذلك لشدة إيقانهم وقوة إيمانهم. وقوله: {إنه كان وعده مأتيا} تأكيد لحصول ذلك وثبوته واستقراره؛ فإن

---

(١) سورة مريم آية (٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٣٨/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨٨/١٥) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

(٤) سورة مريم آية (٦١).

الله لا يخلف الميعاد ولا يبدله، كقوله: {**كان وعـده مفعـولا**} [المزمل: ١٨] أي: كائنا لا محالة. وقوله هاهنا: {**مأتيا**} أي: العباد صائرون إليه، وسيأتونه. ومنهم من قال: {**مأتيا**} بمعنى: آتيا؛ لأن كل ما أتاك فقد أتيته، كما تقول العرب: أتت علي خمسون سنة، وأتيت على خمسين سنة، كلاهما بمعنى [واحد][١].

* * * * * *

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢١٨).

الخاتمة والتوصيات

وبعد هذا التمعن والتدبر لآيات الذكر الحكيم التي تتحدث عن خلق الوفاء، يستطيع الباحث أن يقرر ويوصي بما يلي:

١- أن القرآن الكريم هو الدستور الخالد والذي لو تدبره المسلمون وعملوا بما فيه لسعدوا في حياتهم وآخراهم.

٢- تزخر آيات القرآن الكريم بالدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق وأنها شيم الأنبياء.

٣- خلق الوفاء من أعظم أخلاق الإسلام التي تجلب المحبة والمودة والتعاون بين المجتمع المسلم.

٤- من أغلظ أنواع الوفاء التي ينبغي الوفاء بها ما يكون بين العبد وربه.

٥- بيان عظيم ما أعده الله تعالى لأهل الوفاء وقبح الغدر والخيانة.

٦- مجتمع بدون وفاء مجتمع تغيب عن سمائه المحبة والألفة وتحل فيه الأنانية وحب الذات والأنفة والكراهية ....

٧- هذا الخلق خلق اتصف به المولى سبحانه واتصف به الأنبياء والصالحين فجدير أن يتصف ويتخلق به المسلم.

مصادر البحث

م	المصدر
١.	الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩
٢.	التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
٣.	التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م
٤.	تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
٥.	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م
٦.	جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٧.	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
٨.	الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٩.	الذريعة إلى مكارم الشريعة، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

١٠.	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
١١.	زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
١٢.	سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
١٣.	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
١٤.	فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ
١٥.	الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
١٦.	لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .
١٧.	المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.
١٨.	مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
١٩.	المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث

	العربي – بيروت.
٢٠.	المصباح المنير ٦٦٤/٢، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت
٢١.	معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٢٢.	المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ
٢٣.	مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٤.	الميسر في القراءات الأربع عشرة، لمحمد فهد خاروف صـ٢٨٥، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦.
٢٥.	نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة.
٢٦.	الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٧٨٥
التمهيد	٧٨٨
المطلب الأول: تعريف الوفاء لغة واصطلاحا:	٧٨٨
المطلب الثاني: أنواع الوفاء	٧٩٠
الوفاء بالعهد	٧٩٠
الوفاء بالعقد	٧٩٠
الفرق بين العقد والعهد	٧٩١
الوفاء بالوعد	٧٩١
الفرق بين الوعد والعهد	٧٩١
المبحث الأول الوفاء بالعهد	٧٩٣
المبحث الثاني الوفاء بالعقد	٨٠٢
المبحث الثالث الوفاء بالوعد	٨٠٤
الخاتمة والتوصيات	٨٠٦
مصادر البحث	٨٠٧
فهرس الموضوعات	٨١٠